عائدًا من الموت.. الشاب أحمد خالد حلم تحطم على جبهة الدريهمي!

سمع صوت أمه وهي تنادي جارتها: "معك قليل رز لجهالي، قدهم بلا قراع ويبكوا من الجوع" كلمات أمه نزلت كالرصاص على قلبه، يقول أحمد اسم مستعار: "تخشبت قدماي وتسمرت في مكاني، وأفلتت يداي دفاتري وكتبي"، بهذه العبارة المؤثرة بدأ الشاب أحمد، البالغ من العمر 17 عامًا، سرد حكايته المليئة بالألم والمعاناة.

في حيّ متواضع بمنطقة المحاريق في العاصمة المؤقتة عدن، كان أحمد يحلم بمستقبل مشرق مليء بالأمل والطموح، ولكن ذلك الحلم تحطم عندما أجبرته ظروف أسرته الفقيرة على ترك المدرسة، يقول: "بعد أن سمعت أمي تطلب المساعدة، أخذت عهدًا على نفسي ألا يتكرر هذا الموقف، أمي صاحبة النفس العزيزة لا تستحق ذلك،" وأضاف: "تركت مقاعد الدراسة ومعها تركت حلمي وزملائي، واتخذت قرارًا سأدفع ضريبته طول عمري، مع ذلك، لست نادمًا".

البحث عن عمل:

بدأ أحمد رحلته للبحث عن عمل، يقول: "ذهبت باكرًا إلى السوق في مديرية الشيخ عثمان، لكن لم أجد أي فرصة عمل، ثم قررت الذهاب عصرًا إلى السوق المركزي بمديرية المنصورة، هناك جمعت بعض البطاط والطماطم والبصل والبسباس مما تناثر من البسطات وعدت إلى البيت ليلاً".

استمر أحمد في العمل في سوق الخضروات لمدة شهر، حيث كان ينقل صناديق الخضروات الثقيلة، يتذكر: "كنت أعمل بجاري أنقل سلل البطاط والطماطم وأكياس البصل، أي شيء يطلب مني أنقله".

الطريق إلى العسكرية:

وفي أحد الأيام، بينما كان يعمل في السوق، سمع أحمد حديثًا بين تاجر وزبون حول تسجيل ابنه في إحدى الوحدات العسكرية التي تدفع رواتب بالريال السعودي، يقول: "اغتنمت الفرصة وحملت أغراض التاجر على الجاري وأوصلتها إلى سيارته الفارهة، حينها أخبرني أنه سيسجلني في أي وحدة عسكرية بعد أن شرحت له ظروفي، رقّ لي، وأخذ اسمي وقال لي: عين خيرًا".

بعد أقل من شهر، تلقى أحمد اتصالًا وتم إرساله للالتحاق بأحد الألوية في الساحل الغربي. يقول: "فرحت كثيرًا، ولكن فرحتي لم تدم طويلًا، خابت توقعاتي عندما لم أحصل على رقم عسكري أو راتب ثابت، تم استغلالي فقط لإيصال الطعام للجنود في الجبهات، كوني من المهمشين".

الفاجعة الكبرى:

في أحد الأيام، بينما كان ياسين ينقل الطعام للجنود في جبهة الدريهمي، تعرض الموقع لقصف عنيف، يروي ياسين: "فجأة، تحولت السماء إلى نيران، لم أشعر بشيء، عندما استيقظت، وجدت نفسي في مستشفى صابر في عدن، فتحت عيني، لكنني رأيت نصف الغرفة فقط، شعرت بألم رهيب في رأسي".

أخبره الطبيب أن شظايا القصف اخترقت جمجمته وأخذت عينه اليسرى، ما اضطر الأطباء إلى تركيب صفيحة حديدية لحماية رأسه.

المعاناة بعد الإصابة.

عاد أحمد إلى منزله بعين واحدة ونصف جمجمة، ليواجه واقعًا مؤلمًا، يقول: "مكثت في البيت أقل من شهر، لم يقدم لي اللواء الذي كنت أعمل معه أي راتب أو تعويض مادي، العلاج في مستشفى صابر لم يكن كافيًا، أعاني من آلام مزمنة بسبب الصفيحة الحديدية التي تثقل رأسي، وأحزاني على صحتي ومستقبلي تزداد يومًا بعد يوم".

يتابع أحمد حديثه بصوت مملوء بالحزن: "الصفيحة تجعلني غير قادر على النوم أو العمل، أصبحت عالة على أسرتي وعلى نفسي أيضًا، لا أريد أن أعيش هكذا"!

الأمل المفقود:

ويعيش أحمد اليوم، وأسرته في ظروف صعبة للغاية، حيث لا يتوفر لهم حتى قوت يومهم، بينما يحلم بالسفر إلى الخارج لإزالة الصفيحة واستكمال العلاج، لكنه يعلم أن هذا الحلم بعيد المنال في ظل الوضع الحالي.

إنسانية ضائعة:

قصة أحمد ليست مجرد حكاية لشاب فقد عينه وأُثقل رأسه بصفيحة حديدية، بل هي صورة مؤلمة لواقع آلاف الأطفال والشباب الذين أصبحوا ضحايا للنزاعات المسلحة، إنها دعوة للمجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية لإنقاذ أحمد وأمثاله من هذا المصير المظلم.

انتهاك القانون:

ومنذ اندلاع الحرب في اليمن عام 2015، تحول الأطفال إلى ضحايا مباشرة لهذا النزاع المدمر حيث سجلت تقارير حقوقية وإنسانية، أعداد كبيرة حتى عام 2023 بلغت أكثر من 11,000 طفل فقدوا حياتهم نتيجة القصف والغارات الجوية والألغام التي مزقت أجسادهم البريئة.

فيما تجاوز عدد الجرحى حتى العام ذاته 16,000 طفل، الكثير منهم يعاني من إعاقات دائمة أثرت بشكل جذري على مستقبلهم ولم تقتصر على الجروح الجسدية، بل تركت أثرًا عميقًا في نفوسهم، إذ فقدوا القدرة على العيش كشباب عاديين.

وتأتي هذه المعاناة في الوقت الذي يحرّم فيه القانون اليمني تجنيد الأطفال واستخدامهم في الأعمال العسكرية، وذلك تماشيًا مع الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها اليمن، ووفقًا لقانون حقوق الطفل اليمني يُعتبر أي شخص أقل من 18 عامًا طفلًا، وبالتالي فإن تجنيده أو إشراكه في النزاعات المسلحة يُعد انتهاكًا للقانون.

وتعد هذه الأرقام المروعة، حكايات معاناة يومية لأطفال كان من المفترض أن يعيشوا حياتهم بأمان، لكن الحرب لم تأخذ منهم حياتهم فقط، بل سرقت أحلامهم، وبراءتهم، ومستقبلهم، لتبقى المأساة شاهدة على فداحة ما يمكن أن تفعله الحروب بحياة الأجيال القادمة.